# المحاضرة السادسة:

# أركان العقيدة البيداغوجية للفيلسوف

# جون ديويJohn Dewey 1859-1952

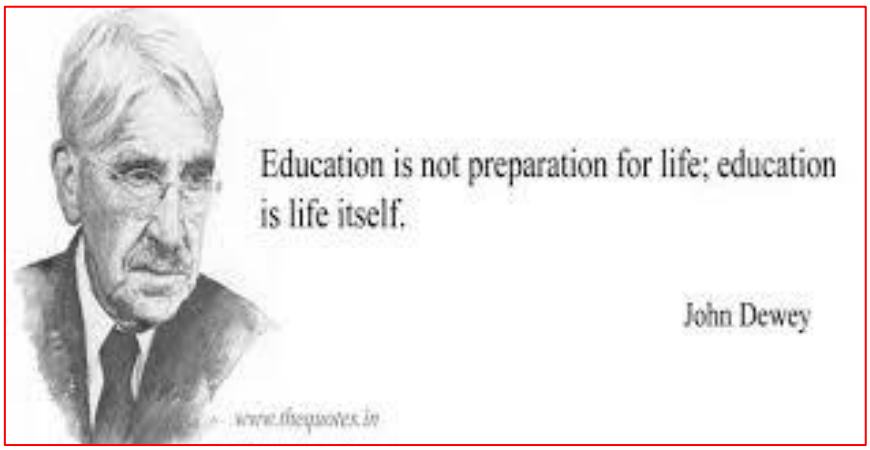


**الهدف المبتغى من المحاضرة:**

**التعرف على أهم أركان العقيدة التربوية لجون ديويJohn Dewey.**

**تمهيد:**

- مراجعة سريعة لأهم أفكار الفلسفة البراغماتية الأمريكية **philosophie pragmatiste américaine** حول التّربية والتّعليم التي تمّ التطرق إليها خلال المحاضرتين السالفتين، من أهمها:

- الأسس الفلسفية للبراغماتية – الطبيعة البشرية، نظرية المعرفة، فلسفة القيم، فلسفة التفكير، فلسفة التغيير، فلسفة الخبرة-، اضافة لمبدأ "التربية ليست إعداد للحياة بل هي الحياة عينها".
- من أهم مؤلفاته:
-

- ألف "جون ديوي" عديد المؤلفات الفلسفية والبيداغوجية المهمة، نذكر من بينها، عقيدتي التربوية **1897**، وعلم النفس والمنهج الفلسفي **1899**، الديمقراطية والتربية **1916**، والمدرسة والمجتمع **1900**، مدارس الغد **1915**، الحرية والثّقافة إضافة لمقالات عديدة من بينها، الطفل والمنهج، الخبرة والتربية، وكيف نفكّر؟، الطّبيعة البشرية والسّلوك.
- التّذكير بأنّ فلسفة التّربية عند "جون ديوي" ترسم مسارات التربية والتعليم ولا يمكن الفصل بينهما -الفلسفة والتربية-، فأمّا الفلسفة فتصنع التّصورات العامّة والخاصّة الضّرورية للفعل التّعليمي، أمّا التّربية فهي التّطبيق العملي لهكذا تصورات.
- عرفت فلسفته باسم الفلسفة الوَسيلية/ الأداتية **Instrumentalism philosophy** التي ترى أنّ المفاهيم والنّظريات هي مجرد أدوات ووسائل **Instruments** مفيدة ونفعية، لا تقاس قيمتها بما إذا كانت مفاهيم ونظريات صحيحة أم خاطئة. ذلك لأن ضمن سياق فلسفة العلم "الوسيلية" وجهة نظر قائمة على أساس مفاده أنّ قيمة المفاهيم والنّظريات العلمية لا تتحدّد بما إذا كانت صحيحة حرفياً، أو تتوافق مع الواقع إلى حدّ ما، ولكن بمدى مساعدتها في صياغة تنبؤات تجريبية دقيقة لحل مشاكل مفاهيمية[1].

- نشير لضرورة استثمار النّص المطّلع عليه سلفاً، الموسوم "بعقيدتي التربوية"/ **Mon My pédagogie Creed /credo pédagogique**. وعبارة عن نص نشره سنة **1897** ، كشف من خلاله عن معتقداته وآماله في التربية والتعليم، وما يطمح إلى تحقيقه ضمن "المدرسة التجريبية" التي أسسها.
- ترتكز عقيدة ديوي التربوية على أسس رئيسية تحاول الاجابة على مجموعة من الاشكاليات حول فلسفة التربية:

1. **حول طبيعة التربية؟ :Ce qu' est l'éducation**

[1] Robert De Neufville, "Instrumentalism", Philosophy, ENCYCLOPÆDIA BRITANNICA. https://www.britannica.com/topic/instrumentalism

- التربية كضرورة حياتية، ذات أهمية مستحيل التّقليل من شأنها ، والتي يجب أن نناقشها قدر الإمكان دون تحيّ عاطفي، سياسوي، أيديولوجي، جهوي،.... إنها سيرورة تجديد ذاتي **L'auto-renouvellement** من خلال المحيط الاجتماعي، وهي عملية مستمرة، ومرتبطة بالمجموعة الاجتماعية . فالتربية عملية يتم من خلالها تتجدد حياتنا بشكل مستمر لتطوير الحياة الانسانية.

- تتجسد العلاقة بين الفرد والجماعة والمجتمع من خلال التربية. فالتربية الفاعلة والمنفعلة هي تلك التي تعلي من مبدأ مشاركة الفرد والجماعة في بناء الوعي الاجتماعي للجنس البشري.
- تفترض التربية تعاون ومشاركة مقصود وحرة، وطوعية، من لدن أطراف العملية التعليمية، خاصة المتعلم، المعلم، المنهاج. حيث لا يمكن الحديث عن أي نجاح للعملية التعليمية/ التعليمية دون أن تكون مشاركة فعالة وفاعلة من طرف المتعلم والمعلم بغية تشكيل الوعي المراد، هذا الوعي الذي ينمو منذ الأيام الأولى من حياته من حالة لاشعورية **inconsciemment** حيث يتدحرج عبر مراحل ترتقي من اللاوعي الى الوعي بكل ما تحمله الكلمة من دلالات ومعاني، عبر سيرورة تشكيلية تنشئوية مقصودة، ومستمرة، معلنة مسبقا من لدن فلاسفة التربية، حسب المجتمع أو الجماعة المقصودة.
- من خلال هكذا صيرورة تربوية تتركز التربية على بعدين أساسين، الأول سيكولوجي والثاني سوسيولوجي، لا يمكن الفصل بينها لأنهما وجهان لعملة واحدة.ولا يمكن القول بأولوية حانب عن آخر. ولا يمكن اغفال جزء عن آخر. بل هما جانبين متعاضدين يشكلان وحدة قائمة بذاتها تتفاعل لأجل صناعة وعي المتعلم، مع بقاء الجانب السيكولوجي جوهر الفعل التعليمي، ويتلخص في قدرات وامكانات المتعلم – الطفل خاصة-التربية الحقيقية هي التي تمكّن المتعلم من مشاركته الطوعية للموارد الفكرية والأخلاقية المجتمعية والانسانية .

- ضرورة التعرف من لدن المعلم على الظروف والخصائص المادية والنفسية للمتعلم، للفهم السليم والصحيح لقدراته، وميولاته ومواهبه،والقدرة على مرافقتها من أجل نمو سليم في المستقبل.
- بداية العملية التعليمية الصحيحة ترتكز على الادراك الصحيح والعلمي من طرف المعلم للخصائص والظروف النفسية والعقلية والفكرية الخاصة بالمتعلم، بالموازاة مع مع ادراكه الصحيح للخصائص الاجتماعية والثقافية والتاريخية للسياق الاجتماعي الذي تتم فيه العملية التعليمية، أي حسب السياق السوسيوثقافي والاقتصادي، والجغرافي، مدرسة المناطق الشمالية تختلف بالضرورة عن مدرسة الجنوب، والمناطق الحضرية تتباين عن تلك بالمناطق الريفية، كلها خصائص يجب أن يفقهها القائم على التعليم.
- ادراك القوى الحقيقية للمتعلم يتطلب التنبؤ بمآلاتها وغاياتها ووظائفها واستعمالاتها المفترضة.
- من قوانين الفعل التعلمي الفاعل، ضرورة صناعة قدرة تمتع المتعلم بتعلمه لحظة الفعل في ذاته، لتحقيق صناعة المتعة التعلمية، لأجل تمكينه من اكتساب واكتشاف جميع قدراته الممكنة وليس حجرها.
- ضرورة تلقينه ميكانيزمات التكيّف مع متطلبات واكراهات المستقبل /الغد وليس اليوم[2]، خاصة مع ظاهرة الديموقراطية والصناعة وما أفرزته، حيث لم يعد لا امكانية التنبؤ الدقيق بما سيحدث خلال العشرين سنة القدمة، لتسارع التغير الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي الثقافي والأخلاقي والحضاري للمجتمعات الصناعية، لذا وجب تعليمهم التعامل مع الغد وليس اللحظة ولا الماضي[3]. مما يستدعي ضرورة اعادة النظر في المناهج والأساليب التعليمية التقليدية القائمة على تقديس الماضي، واجترار ما قاله السابقون، دون تطويره وتفكيكه بغية تجاوزه، لصناعة غد أفضل. فالديمقراطية التربوية طريقة شخصية للحياة قبل أن تكون شعارا سياسيا أو عنوانا أيديولوجيا يتغنى به في

[2] للتوضيح أكثر يمكن العودة لكتابه **مدارس الغد** .
[3] للتوسع في الفكرة يمكن الرجوع لكتاب **الديموقراطية والتربية**، 1916.

المناسبات، إنها أخلاق عامة يجب أن تمس كامل تضاريس المجتمع وكامل مناحي الحياة الخاصة والعامة، وكامل مؤسساته. والارتقاء بالحقل المدرسي ليكون مشتلة لزرع السلوكات والممارسات التي يعلي من قيمة احترام الفرد وكرامته، والإعلاء من شخصيته الإنسانية باعتبارها رأس مال انساني لا يقدر بثمن، أساسه مشاركة جميع أعضائه في إدارة شئوونها ديمقراطياً، فتحدث العدوى الايجابية، لتعم المجتمع ككل. ذلك لأن الديموقراطية أسلوب حياة **Democracy as a way of life**، وعملية فاعلة للتخطيط الاجتماعي والعمل الجماعي في جميع مجالات الحياة المشتركة، بل مصدر القيم الأخلاقية التي توجه إنشاء وتطوير المؤسسات الاجتماعية التي تعزز نمو وازدهار الإنسان. ومع ذلك، وعلى عكس الأطر الأخلاقية الأخرى مثل التقاليد البالية أو الأيديولوجيات السياسية، فإن الديمقراطية كأسلوب حياة ليست مطلقة ولا نسبية، لأن معاييرها وإجراءاتها تجريبية يمكنها تفادي الأخطاء، باعتبارها عملية تعاونية واعية يتشاور فيها الأفراد مع بعضهم البعض لتحديد مشاكلهم المشتركة وكيفيات معالجتها في الواقع، مما يصفها بأنها ذكاء اجتماعي **social intelligence**[4].

- وعلية يمكن القول باعداده للغد يعني اعداده وتعليمه كيف يكون سيد ذاته **à être maitre de Soi**، وكيف يؤثر في تحديد مصيره الشخصي ومصير مجتمعه. أي اكسابه القدرة على امتلاك قدراته بشكل كامل وغير منقوص، حيث يتحول معلم ذاته-**Auto enseignant**، بكل حرية، بعيدا عن كومة معالم القهر والاكراه الزائد والتجريم والوصم المجتمعي لكل مبادرة تخرج عما وجدنا عليه آباءنا الأقدمون، وللأسف ما أكثرها في مجتمعاتنا المتخلفة[5].
- بمعنى كذلك تهيئته لتكون حواسه مستعدة لتنفيد أوامر تقديراته وأحكامه الخاصة حسب اكراهات الوضعية التي يتواجد فيها، وليس انتظار ما يمليه عليه الآخر، مهما كان

[4] James S. Gouinlock ," John Dewey , AMERICAN PHILOSOPHER AND EDUCATOR",ENCYCLOPÆDIA BRITANNICA.
https://www.britannica.com/biography/John-Dewey

[5] يمكن الرجوع لكتاب بوعلي ياسين، **الثالوث المحرم، دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي**.

هذا الآخر، لأن فترة انتظار تفضي به للعجز عن التكيف السريع، الذكي والاقتصادي العقلاني مع ضرورات واكراهات الواقع المعيش.

## 2. حول المدرسة ؟ ce qu'est l'école:

- لتجسيد أفكاره التربوية أسس 'ديوي' المدرسة النموذجية بمدينة شيكاغو، وقد عرفت بمدرسة **التطبيقات أو** مدرسة **المختبر**.
- فالمدرسة حسب اعتقاده مؤسسة اجتماعية بالدّرجة الأولى، فهي مؤسسة المؤسسات، لأنها تمثل كل المؤسسات الأخرى، و لأنها مسرح وشكل من أشكال الحياة الاجتماعية المجتمعية، -مما يرشحها لتكون الفضاء المناسب لمساعدة المتعلم على اكتشاف قدراته وتحقيق غابات التربية الاجتماعية الديموقراطية يعبر عن ذلك بقوله: **I believe that the school is primarily a social institution**[6].و المدرسة هي المختبر الذي تقاس به درجات ديمقراطية المجتمعات المعاصرة، وهي عامل من عوامل تنمية الثقافة و الحضارة وإعداد مواطني الغد، و نشر الاخلاق الديمقراطية.
- وعلية فالتربية سيرورة حياة وليست اعداد للحياة الغد **un processus de vie et non une préparation à la vie à venir**. ولن يتم ذلك إلا ببيداغوجيا حل المشكلات حيث يلخص ذلك بقوله 'نفكر فقط عندما تواجهنا مشكلة. مقبول مرفوض، التعليم ليس استعدادا للحياة، إنها الحياة ذاتها '.
- يعتقد 'ديوي" أن المدرسة يجب أن تجسّد جوهر الحياة **La Vie** كما هي مُعاشَة وليس كما يأمل المثاليون أن تكون. حيث رفع من أهمية 'الخبرة الإنسانية' واعتبرها مصدر العلوم والقيم، وبخلاف المثاليون الذين يرون أن المعرفة والقيم نسبية غير ثابتة، فالعقل هو من يقرر نسبة الصواب والخطأ وليس الواقع.
- يعتقد أن المدرسة باعتبارها مؤسسة اجتماعية مطلوب منها ضرورة أن تبسط **simplifier** الحياة الاجتماعية المعاشة، تقليها لشكلها الأولي، ذلك لأن الحياة

[6] لتوسع في الفكرة يمكن الرجوع لكتاب **المدرسة والمجتمع**.

في واقعها جدّ معقدة، مما يعسر على الطفل ادراكها لو لم تقم المدرسة بذلك، وإلا يُستَشكل الأمر عليه، فلن يدرك مقاصدها وأبعادها الفلسفية الحياتية.

- لتقريب وتبسيط إدراك الطفل في المدرسة للحياة الاجتماعية، يجب على هذه الاخيرة أن تستعين بمؤسسة الأسرة، انطلاقاً من تجسيد الحياة الأسرية في أشكالها الأولى كذلك، من خلال نسخ وتجسيد العلاقات الأسرية من خلال أدوار اجتماعية تعليمية، يتقمصها المتعلم من خلال مشكلات تعليمية، يجب أن يدرك حلولها بتوجيه المعلم أو من يساعده. فالمدرسة يجب أن تواصل وتدعم ما بدأته الأسرة من بناء للوعي، وليس تحطيمه أو وصمه بالدونية والنقصان. لأن في الفلسفة البراغماتية كل مؤسسات المجتمع تنطلق من مبدأ تربوي مشترك، وهو اعداد ذات الطفل لأدوار ووظائف المستقبل المشرق، لرفع " التّحدي".
- فوظيفة المدرسة اعادة تجسيد الأدوار الاجتماعية عبر مختلف المؤسسات، من خلال أنشطة تعليمية **des activités scolaires** لكي يتمكن الطفل من ادراكها ، بادراك معاني هذه الأدوار، ما معنى أن تكون أبا؟ مثلا، أو أما؟ أو زوجاً أو زوجة؟....،[7] كلها يجب أن يدرك معانيها تدريجيا. ومنه يكتسب القدرة على لعب هكذا أدوار ولو ترامكت في ذات اللحظة الحياتية، بادراك واجباته وحقوقه، وأن يتمكن من التّمييز بينها وليس الخلط بينها، مما يُضفي لمشاكل وعجز فردي وجماعي يؤثّر حتماً على الحياة المجتمعية كلها.
- لماذا الاسرة؟ ذلك لاعتبارات اساية منها، ضرورة سيكولوجية **nécessité psychologique**، لأنّها الوحيدة -حسبه- القادرة على ضمان استمرارية النمو السّليم للطفل، والتي يستقيها من تجارب الآخرين ومن "خبرات" الغير، بدء من الأولياء زالأقارب.

[7] يترسخ ذلك ايضا من الأنشطة المدرسية بمفهزمها الواسع والتي تتضمن أنشطة التلاميذ ضمن النوادي المتعددة، علة نحو النوادي المسرحية، الرياضية، العلمية، الارشاد والتوجيه، التطوعية،...أين يجد التلاميذ فرصة النبوغ والبروز في تقمص أدوار اجتماعية وقيم وأخلاق مجتمعية مختلفة، التعاون، التضامن، حلاية وطلاقة التعبير اللفظي ، الحركي،....للأسف تكاد تنعدم هكذا أنشطة بمدارسنا، لا نعلم لماذا؟؟؟

- اضافة لضرورة اجتماعية **nécessité sociale** لأن الاسرة هي مهد ميلاد الطفل ولاكتسابه بديهيات التربية الأخلاقية العامة، ومن هنا تقوم المدرسة بتعميق وتوسيع هذه الاخلاق.
- يعتقد ديوي أن من اخفاقات المدرسة -آنذاك- اهمالها أو اغفالها فكرة أن المدرسة شكل من اشكال الحياة الجماعية **la vie de la communauté**، حيث تعتبرها فضاء لتلقين المعارف وإلقاء الدروس وأنماط سلوكية محددة سلفا للمتعلم. وتتجاهل التجارب الواقعية المعاشة من لدنه. واعلائها للطابع الفردي بشكل زائد مما يقتل لديه الغرائز الاجتماعية الضرورية للحياة الاجتماعية، كالتعاون، التضامن،.....
- وظيفة المعلم ليس فرض أفكار محددة، أو تشكيل قيم ومعايير وسلوكات بعيدة عن الحياة الاجتماعية،وانما مساعدة التلميذ وتوجيهه لتمثل واقع الحياة الاجتماعية.
- لا قيمة للامتحانات اذا لم تراقب درجات تمثل التلميذ للقيم الاجتماعية وأشكال الحياة الاجتماعية. فالامتحانات تقيس قدرة التلاميذ على حل المشكلات والمشارع الخاصة، وقياس التطبيقات العملية ذات المردود الاجتماعي.
- انتقد كثيرا التربية القائمة آنذاك [ وللأسف ما زالت قائمة] في ما يتعلق بطبيعة السّلطة التعليمية **L' Autorité éducative** في المدرسة التقليدية، سلطةٌ تتميز بطريقة تدريس استبدادية إلى حدّ كبير. حيث يتمّ التّأكيد على الانضباط **La discipline** ما يجعل المهام صعبة، وأحيانًا غير سارة، إذ غالبًا ما يضطرّ المعلم إلى ممارسة الإكراه والجَبر بطريقة أو بأخرى. في وقت كانت طريقة "ج. فريدرك هربرت **Johann Friedrich Herbart**"[8] هي المهيمِنَة، حيث كانت تجعل من المعلم رحى العميلية التّعليمية، فهو سلطان فصله الدّراسي. فالطّبيعة الاستبدادية للفعل التّعليمي مؤشّراً آخر على طبيعة الجو الاجتماعي للمدارس. مدارس حيث الخضوع والخنوع وطاعة المعلم فضائل تعليمية "مقدّسة"،

[8] "ج. فريدرك هربرت" 1776-1848، فيلسوف ومعلم ألماني، تلميذ "Fichte "، ومعاصر لكل من Johann. H. Pestalozzi, و Friedrich Fröbel . يعتبر مؤسس علم البيداغوجيا la pédagogie [فن نقل المهارات للمتعلمين]، كمجال علمي وأكاديمي قائم بذاته. كان لأعماله العديدة تأثير كبير على نظرية وممارسة العلوم التربوية في أوروبا والولايات المتحدة.

وأكثر أهمية من مبادرة واستقلالية المتعلم. في حين ينتظر التلاميذ من معلمهم مبادئ سلوكهم وتصرفهم. ينتظر هذا الأخير تعليمات مديره، الذي بدوره يتّبع تعليمات الوِصايَة [السّلطة الحاكمة].

### 3. موضوع التربية:

- الموضوع الاساسي للتربية والتعليم هو بالدرجة الأولى الحياة الاجتماعية المعاشة، والحياة الجماعية لمختلف الأثنيات والأعراق، بغية صناعة مجتمع ديموقراطي متوازن يحترم كل الأشخاص والجماعات، بأخلاق ديموقراطية. لأن الديموقراطية ليست مرتبطة بالجانب السياسي فقط، بل بأخلاق وتربية عامة تنتشر بمختلف المؤسسات الاجتماعية، بدء بالأسرة.
- يعتقد ديوي أن النقطة الحقيقية لترابط المواد التعليمية لا يقتصر على العلوم ولا الأدب ولا التاريخ ولا الجغرافيا، وإنما الممارسات الاجتماعية المعاشة للطفل.
- التربية لا يمكنها اكتساب وحدتها بدراسة العلوم التي تسمى العلوم الطبيعية فقط، لأن تقسيم الطبيعة الانسانية، ولأن الطبيعة في حد ذاتها ليست وحدة واحدة. وإنما الطبيعة هي موضوعات متباينة الفضاء حسب المكان والزمان، وانما يجب جعلها مركز الاشتغال التربوي.

### 4. طبيعة المنهج التعليمي:

- يجب تقديم المنهج اللتعليمي بعيدا عن المناهج التقليدية، فهو ليس مجموعة موضوعات وانما مجموعة مهارات سلوكية وعملية، اجتماعية بالدرجة الاولى، وفنون عملية في التصرف ورد الفعل اتجاه مشكلات حياتية معينة. مع التركيز على تنمية العقل وتصوراته للعالم، ليمكنهم من فهم عالمهم الحاضر والمستقبل ، واشراكهم في تحسين أحوال مجتمعهم.
- يجب أن يعتمد نمط التعلم والتعليم على طبيعة نمو قوى الطفل واهتماماته ورغباته و قدراته الممكنة.

- يرتكز المنهج التعليمي على مبدأ الإقناع العقلي في غرس القيم والأخلاق، إذ لا يكفي أسلوب المدح والذم، والثواب والعقاب، ... ل يجب اقناع المتعلم وتحفيزه على التعلم.

## 5. المدرسة أساس التقدم/الاصلاح الاجتماعي:

- التربية المنهج الاساسي للتقدم الاجتماعي، ولاصلاح المجتمع.
- أي اصلاح لأيّ جانب من جوانب اصلاح المجتمعات يجعل فقط تطبيق القانون وتكثيف وتغليظ العقوبات شعارا له، هو اصلاح عقيم وغير فعال.
- التربية هي موازنة لعملية المشاركة في تشكيل الوعي الاجتماعي للفرد ومنه للمجتمع ولا يجب تغليب طرف على الآخر.
- أساس عمليات التقدم الاجتماعي يكمن في تعديل السلوك الفردي الذي هو أساس المجتمع.
- تعدّ العلوم الاجتماعية والسيكولوجية أساس تطوير وفهم العملية التعلمية بكل مكوناتها.
- من أهم دعائم التقدم الاجتماعي قيمة العيش المشترك **Le vivre ensemble**، والتي يتم تنميتها وترسيخها من خلال العملية التعليمية. لأنها شأن تربوي بالدرجة الأولى، تعمل على دحض عديد الأمراض المجتمعية، كالعنصرية، التعصب، التمييز، التفاوت واللامساواة...

لتعميق الفهم أكثر يمكن الرجوع للمراجع الأساسية:


- DELEDALLE Gérard," John Dewey", Paris, PUF, coll Pédagogues et pédagogies, 1995, pp 111-125.
- جون ديوي، المدرسة والمجتمع،
- ـــــ، ـــــ، التربية والديموقراطية.
- ـــــ، ـــــ، مدرسة الغد.

- سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، سلسلة عالم ، **1995.** ، المعرفة، الكويت